



تعريف مفهوم الجماعة: يختلف الباحثون في مجال الدراسات النفسية الاجتماعية في تحديد مفهوم **الجماعة** باختلاف الأسس التي يقوم عليها وصف **الجماعة** أو تعريفها. ورغم تعدد التعاريف فإننا سنركز على تعريف واحد يكاد يكون شموليا وهو تعريف "خليل ميخائيل معوض" باعتباره تعريفا يستحضر مجموعة من التعاريف وهو كالتالي :

"**الجماعة** وحدة اجتماعية تتكون من ثلاثة أشخاص فأكثر يتم بينهم تفاعل اجتماعي. وعلاقات اجتماعية وتأثير انفعالي ونشاط متبادل على أساسه تتحدد الأدوار والمكانة الاجتماعية لأفراد **الجماعة** وفق معايير وقيم **الجماعة** إشباعا لحاجيات أفرادها ورغباتهم وسعيا لتحقيق أهداف **الجماعة** دائما. وبصفة عامة هناك صفات ينبغي أن تتوفر في **الجماعة** حتى تكتسب صفة **الجماعة** منها :

1) وحدة الغرض والأهداف والترابط بين أفرادها.

2) أن لا يقل أعضاؤها عن ثلاثة أشخاص.

3) أن تهيم **الجماعة** لأعضائها الفرص للنمو وإشباع حاجاتهم.

4) أن تكون العلاقات مبنية على الود والتعاون.

5) أن يكون هدف **الجماعة** متفقا مع عادات وتقاليد المجتمع الموجودة فيه.

6) أن تكون للجماعة قيادة مهما كان عدد أفرادها.

7) أن تكون **الجماعة** على درجة معينة من التنظيم.

أنواع الجماعات:

1. الجماعات الصغيرة:

تتميز بقلّة أفرادها ويكونهم يعرفون بعضهم بعضا. ويكونون جماعة لها استمرارية زمنية محدودة. وأهداف قريبة المدى. وتكون المجموعة قد تكونت بطريقة مقصودة مثل الفرقة الرياضية.

2. الجماعات المتوسطة

يكون عددها متوسطا لا يعرف أفرادها بعضهم بعضا بالضرورة ويشتركون في نفس الهدف ، وتكون هذه المجموعة قد تكونت عن قصد ولها استمرارية قريبة المدى. ومن أمثلتها الأحزاب السياسية ، النقابات ، الهيئات الاجتماعية التي تدخل في نفس التعريف.

3. الجماعات الكبيرة:

تتميز بعدد أفرادها الكبير كما تتميز بكون هؤلاء لا يعرفون بعضهم بالضرورة ، ويشتركون في نفس العقائد والقيم ونفس التاريخ كالأمم والشعوب والأوطان... غير أن أكثر التصنيفات شيوعا هو ما يطرحه أنزيو ومارتن حيث يضعان خمس فئات هي :

• الحشد: وتشتمل على حجم كبير من الناس يجدون أنفسهم مجتمعين في نفس المكان ومن دون هاجس قبلي أو نية مبيتة .

• الرهط: وتتكون نتيجة إجتماع أشخاص بشكل إرادي من أجل التلذذ بهذا الاجتماع عبر البحث عن الشبيه. وتتميز بالإتيان بسلوكات مخالفة أو محرمة أو مفروضة من طرف المجتمع.

• التجمع: كالمخيمات والنوادي والزوايا.

• الجماعات الثانوية: أو جماعات تسير وفق تنظيمات قانونية اقتصادية أو سياسية أو غيرها كالمستشفيات والمدارس والأحزاب. تتسم العلاقات بين أعضائها بالبرودة والطابع غير الشخصي. إنها علاقات معقلنة ومحكومة بقوانين تغلب فيها التواصلات المكتوبة على الحوار المباشر.

• الجماعات الأولية: أو الضيقة أو الصغرى والتي تعتبر جماعة الفصل فصيلا منها. وتتميز بتسيير قيام علاقات وجدانية قوية داخلها دون أن تطورها .

ويعرف هوماس **الجماعة** الأولية " على أنها جماعة صغيرة قوامها عدد من الأشخاص يتواصلون بينهم إبان مدة معينة. ويكون عددهم قليلا بحيث يتمكن كل منهم من الاتصال بجميع الأشخاص الآخرين مباشرة بدون واسطة شخص آخر ."

مفهوم الدينامية:

تعرف الدينامية على أنها مجموعة من المثيرات والاستجابات التي تحدث داخل **الجماعة** في المواقف المختلفة التي تمر بها. فالفرد إذ يصدر سلوكا معينا داخل جماعته ، فإنه يقابل بالعديد من الاستجابات من باقي الأفراد. وبذلك يحصل تفاعل اجتماعي ونفسي أشبه ما يكون بتفاعل كيميائي.

ويرى : "كولي" أن هذه القوى المؤثرة في العلاقات على شكل تفاعلات تؤدي إلى تغير يحدث تأثيرا في اتجاهات الجماعة. ويمتد هذا التغيير إلى اتجاهات الأفراد وسمااتهم الشخصية واهتماماتهم ومهاراتهم وإلى غير ذلك خلال عمليات التفاعل الاجتماعي.

ولعل "ليفين" نفسه يسير في هذا الاتجاه إذ يرى أن **الجماعة** كل دينامي وأي تغيير في حالة جزء من هذا الكل يؤدي إلى تغيير حالة الأجزاء الأخرى. وليس

جوهر **الجماعة** في تشابه الأعضاء أو عدم تشابههم بل في اعتماد بعضهم على البعض الآخر ، وأن درجة الاعتماد المتبادل بين أعضاء **الجماعة** يتراوح بين التفكك والوحدة المتماسكة .

دينامية الجماعات:

عرف علم النفس الاجتماعي تطورات مهمة مع بداية القرن العشرين خاصة في مراحل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها العالم (الحروب الكبرى...) لكن مبحث **دينامية** الجماعات عرف تطورات كبيرة بفعل النمو والتوسع الذي عرفته الدراسات الأنثروبولوجية خاصة تلك التي رافقت الاستعمار الجديد لكن أهم بحث طور **دينامية** الجماعات هو ذلك الذي تعلق بالجماعات الضيقة أو المحدودة كجماعة اليهود أو الجماعات الدينية الأخرى. وجماعة الأقليات عموما. ويعتبر "كرت ليفين" مؤسس **دينامية** الجماعات. بدءا ببحثه في جماعة اليهود التي كان ينتمي إليها. ويمكن القول أن ضرورة البحث في **دينامية** الجماعات المحدودة عمل على تطوير **دينامية** الجماعات.

تعريف **دينامية** الجماعات:

يمكن اعتبار **دينامية** الجماعات علما قائما بذاته يختص بدراسة المبادئ والقوى المختلفة المتحركة في الجماعات وكذلك السيورة التي تعرفها **الجماعة** بفضل مختلف التفاعلات. غير أن هذه التفاعلات قد تؤدي إلى تقدم **الجماعة** ونموها وقد تأخذ شكل صراع وتنافس شديد يؤدي إلى انحدار **الجماعة** والحط من مستواها. وقد تشابه طبيعة التفاعل في كل الجماعات وينتج عن هذا التفاعل تقبل أو رفض ، نبذ أو استنكار ، تجاهل بين الأفراد ، صداقات ومودة وغيرها. فأسلوب التقبل والنبذ له تأثير قوي على الأفراد أنفسهم ويتأثر حدث الدينامية في **الجماعة** بعدة عوامل أهمها:

- شخصية الفرد: ذلك أن **الجماعة** تزدهر وتنمو عندما يتوفر لديها أفراد إيجابيون متعاونون ذوو آراء شخصية بناءة ومقترحات سليمة ، والقدرة على تنفيذ المقترحات والمخططات. بينما تنحدر **الجماعة** إذا كثر فيها الأعضاء المفرغون ذوو الآراء المتصلبة والمعارضون السلبيون الذين يعارضون كل تقدم ، وذووا الاتجاهات التيقراطية الذين يميلون للسيطرة.
- ثقافة الأفراد وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية.
- الظروف الأسرية ، تحمل المسؤولية ، التبعية ، الاتكالية ، ضعف الثقة بالنفس.
- التجارب الاجتماعية والخبرات السابقة.
- التنافس على القيادة .

جماعة القسم:

إن القسم كمجال نفسي -اجتماعي يتميز بصفته جماعة تهدف من خلال وجودها إلى تحقيق عمل معين ، وفق شروط محددة ، ويهدف من خلال تنظيمه إلى تحقيق أغراض تربوية ومعارف ، ك اكتساب مهارات وخبرات تعليمية ضمن الشروط المقننة ووفق وسائل وطرق واضحة. وعليه فإننا لا يمكن التعرف على كنه جماعة الفصل إلا داخل خصائص الجماعات الصغيرة ، التي تعتبر العمل أهم مبدأ مشترك بين أفرادها. مع إضافة بعض الخصائص المميزة للقسم التعليمي عن غيره من التنظيمات الأخرى. وقد حددها باني وجنسون كالتالي:

- إن حضور المكونين للجماعة إلزامي وليس اختياري.
- لا يدخل في اختصاص المكونين للجماعة اختيار القائد ولا يمكن التمرد عليه أو الخروج عنه.
- يقع التلاميذ تحت ضغوط وتأثيرات تلاميذ آخرين ومجموعات ضاغطة أخرى .

دينامية جماعة القسم

إن الفصل الدراسي كجماعة صغيرة يشكل وحدة متجانسة ، ويكتسي بنية شكلية قانونية على اعتبار أن القسم من حيث الطبيعة والخصائص يتكون من مستويين: مستوى أول: شكلي يتبلور على شكل تنظيم محكم رسمي هو المسؤول عن تحديد الأهداف الرسمية للجماعة ، والشروط اللازمة لتحقيقها مضيافا إلى ذلك تحديد الأدوار والمسؤوليات التي يجب أن يقوم بها كل من المدرس والمتمدرس يعني كل ذلك أن التنظيم الشكلي هو الذي يقنن معايير سلوك المجموعة ، ويضع القيم الأخلاقية المرجو تحقيقها.

مستوى ثاني: فهو غير رسمي ، فالقسم كجماعة أولية يصبح مجالا للتكوين العاطفي والنفسي والاجتماعي. ويصبح هذا المستوى غني التأثير والتأثر ، ويلعب دورا بالغ الأهمية في سير العملية التعليمية. وهكذا فالقسم يصبح مجالا عاطفيا ونفسيا واجتماعيا أكثر مما هو مجال معرفي تحكمه القواعد الشكلية تنشأ تحت تأثير التفاعلات التي تتم في إطاره وحسب هذا المنطق يجب أن نتعامل مع القسم كمجتمع صغير حسب دوركايم وقد عرفت جماعة القسم بحكم طبيعتها ومهامها وغاياتها ، وبخاصة الدور الذي تؤديه في حياة الطفل -التلميذ- الوجدانية تعريفات عديدة. بالنسبة إلى جونسون وباني 1974 إنها " مجموعة أفراد يدركون بشكل جماعي وحدتهم ، ويتخذون السلوك نفسه اتجاه المحيط المدرسي " أما آخرون أمثال ديبون 1982 وجورني 1980 فإنهم يعرفون جماعة القسم من خلال خصائصها ويعتبرونها جماعة تفاعل مباشر لأن أعضائها تأثير على بعضهم البعض ولأنها تؤثر عليهم بواسطة المعايير التي تتكون داخلها. أنها جماعة عمل منظمة لأجل تحقيق هدف ما. إنها جماعة شكلية لأن أعضائها عينوا ليكونوا جماعة لم يختاروها. ولأن المؤسسة فرضت بنيتها عليهم. في جماعة القسم كأي جماعة صغيرة مجموعة من المتغيرات التي يفرضها ديناميتها. ويمكن رصد هذه المتغيرات مباشرة أو عبر أدوات كالروايات والاستمارات والمقابلات ولعب الأدوار ويمكن تحديد بعض هذه المتغيرات كالتالي:

- الأعراف: هي عبارة عن تحديد السلوكيات المرغوب فيها والمقبولة والمنبوذة. ومن ثم تشكل الأعراف قالب سلوكية تتم خلالها انصهار سلوك الفرد في الجماعة ، حيث يتخلى عن كثير من سلوكياته التي حددتها له أطر مرجعية سابقة (كالأسرة مثلا) لصالح قيم وعادات تقرضها الجماعة. وهذه الأعراف يكون بعضها مؤسساتيا ، كالقوانين الداخلية للمؤسسة وأنظمتها وبعضها شكليا ينتج من طرف **الجماعة** ذاتها بفعل تفاعلات أعضائها وإسهامات كل واحد في تشكيلها.
- الأهداف: بحكم أن جماعة القسم من فصيلة جماعة العمل فإن أهدافها الأساسية هي أهداف إنتاجية (فكرية أو مادية أحيانا) إن جماعة القسم قد وجدت من أجل أن تنتج تعلمات معرفية أو وجدانية أو سيكوحركية تحاول المناهج والبرامج بلورتها عبر عمليات تربوية. لكن هذا التركيز على هذه الأهداف التي يصطلح عليها بأهداف المهام. لا يمنع من تبلور أهداف وجدانية ترتبط بالتلاحم والتفاعلات الوجدانية.
- توزيع الأدوار: توزع جماعة القسم على أعضائها مجموعة من الأدوار: دور المدرس / دور التلاميذ وهذه الأدوار تقرزها قدرات الأعضاء ومؤهلاتهم ومعطيات الظروف التي تشتغل فيها **الجماعة** وطبيعة وقوة الجماعة.
- نموذج السلطة: كباقي جماعات العمل ، تطرح في جماعة القسم إشكالية القيادة أو السلطة التي تؤثر في المناخ النفسي — الاجتماعي للجماعة وإنتاجها ويلعب دور

المدرس كقائد رسمي دورا مهما في تحديد طبيعة القيادة داخل القسم (قيادة ديموقراطية ، متصلة ، تسببية...) يكون المدرس عند تسلمه زمام القسم قائدا شكليا مؤسسيا. إنه شكلي بحكم أنه لا أحد من التلاميذ اختاره في البداية ليكون قائدا لذلك القسم. وهو مؤسسي لأن المؤسسة هي التي اختارته وهي التي تعمل على بقاءه كقائد ليساعدها على تحقيق أهداف المؤسسة ولكي يتحول المدرس من قائد شكلي إلى قائد حقيقي عليه أن يستقطب بعمله وطريقته وعلاقته. انجذاب أعضاء الجماعة) التلاميذ) والإظل قائدا صوريا مفروضا وغير مرغوب فيه. وفي هذا الإطار أقيمت مجموعة من الدراسات التي أكدت على إيجابية المناخ الديموقراطي. ومن ذلك دراسة " أندرسن" والدراسة الكلاسيكية المشهورة ل "وايت" و"ليببت" تحت إشراف "كورت ليفين" إمكانات جماعة الفصل:

-تعتمد جماعة الفصل على مجموعة الإمكانيات التي يسهم بها كل فرد في الجماعة أي مؤهلاته واستعداداته ، وتعتبر هذه الإمكانيات عنصرا هاما في مسار عملية التعليم لأهميتها من جهة ، ولأهمية إدراكها من طرف أعضاء الجماعات من جهة أخرى ويمكن أن نميز في هذا الإطار بين إمكانيات المتعلم وتتحدد بدرجة دافعيته للتعلم والتصورات لديه حول العملية التعليمية ، أما إمكانيات المدرس فتشمل مؤهلاته المعرفية والبيداغوجية وتمثلاته للفعل التعليمي وللمتعلمين وإمكاناتهم. بالإضافة إلى إمكانيات المدرس والمتدربين ، نجد الإمكانيات التي توفرها المؤسسة والتي يتحكم في جانب كبير منها المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمدرسة وما تقرزه من أساليب المعاملة التي تتحكم في علاقة المدرس بالمتعلمين ، وتتفاعل كل هذه الإمكانيات لكي تشكل بنية يؤدي أي خلل في واحدة منها إلى خلل في تحقيق وسير العملية التعليمية. العلاقات التفاعلية:

تعج جماعة الفصل كأى جماعة ضيقة بالتفاعلات البين شخصية وذلك نظرا لتواجد الأعضاء وجها لوجه وهذه التفاعلات بعضها جزئي مرتبط بالمهام التعليمية (المناقشة ، المساءلة ، التعاون على إنجاز عمل مدرسي...) وبعضها وجداني (التعاطف ، النفور ، التقدير ، الاحتقار...) ولا ينبغي أن ننسى وجود علاقات تربط بين جماعة الفصل وعناصر خارجية (أفراد ، جماعات).

تقنيات تحليل دينامية جماعة القسم:

تشغل دينامية الجماعات بالإضافة إلى صياغة تصورات عامة نظرية بصدد حركية الجماعات وتفاعلاتها ، على تقديم تقنيات للبحث ورصد الظواهر التي تعتمد داخل الجماعات. وهكذا تقدم مجموعة من الوسائل التي تسمح بملاحظة التفاعلات داخلها وكيفية تطورها. وتستثمر بعض التقنيات في فهم جماعة القسم وتحليل تفاعلاتها ومختلف الميكانيزمات المتحركة في سيرورتها كما تسمح بإيجاد المسلكيات القادرة على إحداث التغيرات الملائمة في عمل ومناخ الجماعة وذلك عن طريق التدخل السيكوسوسيولوجي. ومن أشهر التقنيات المستخدمة في تحليل دينامية الجماعة: القياسات الاجتماعية أو السوسيومترية Sociométrique لأحد الباحثين يدعى "لوفي مورينو" وهي دراسة خاصة بالكشف عن المستوى المستتر في البنية التلقائية للجماعة الصغيرة. ويعتبر المقياس السوسيومتري وسيلة للكشف عن البنية الخفية للجماعة. وهو عبارة عن استمارة تتضمن عددا من الأسئلة توزع بالإسم على أفراد الجماعة مع اشتراط الإجابة الصادقة والتلقائية عن الأسئلة حتى تكون الأجوبة معبرة عن الوضعية الداخلية التي توجد عليها الجماعة وأنشطتها وأهدافها المعبرة عن حياتها ، وذلك بربط الأسئلة بالأجوبة معا بما هو معيش أو معاش من طرف أعضاء الجماعة بغية الوصول إلى معرفة البنية الداخلية للجماعة وطبيعة العلاقات التفاعلية وطبيعة التواصل حتى يمكن استثمار أهداف الجماعة استثمارا يتجه نحو الأفضل.

ويتكون هذا الاختبار لدى مورينو من أربعة أسئلة:

-من هم الأشخاص الذين يرغب المستجوب في أن يكونوا معه ضمن نشاط ما ؟

-من هم الأشخاص الذين لا يرغب المستجوب في أن يكونوا معه ضمن نشاط ما ؟

-من هم الأشخاص الذين يعتقد أنهم يرغبون في أن يكون هو معهم ضمن نشاط ما ؟

-من هم الأشخاص الذين يعتقد أنهم لا يرغبون في أن يكون هو معهم ضمن نشاط ما ؟

إن السؤالين الأولين يحددان المكانة التي يحتلها الفرد واقعا ضمن شبكة العلاقات داخل الجماعة. في حين يحدد السؤالان الثالث والرابع مكانته المدركة أي مكانته كما يدركها هو.

والاختبار السوسيومتري يستوجب ليس فقط الوقوف على الأرقام والمعطيات بل تجاوز ذلك إلى التحليل واستخراج الخلاصات والاستنتاجات. أما فائدته بالنسبة لجماعة الفصل فتتشكل في مجموعة من القضايا نذكر منها:

-الاستئناس بالنتائج في تشكيل المجموعات داخل الفصل عند سلك طريقة المجموعات أو اعتماد أساليبها. عوض تشكيل هذه المجموعات اعتبارا مما قد يخلق عراقيل في وجه إنجاز الأهداف.

-لمعرفة المنعزلين والمنبوذين بهدف العمل على إدماجهم ضمن الجماعة تقاديا لسوء توافقه المدرسي الذي ينجم عن مكانة سوسيومترية منخفضة. -لمعرفة بنية العلاقات ومحاولة تغييرها بما يخلق مناخا إيجابيا للجماعة يسمح بالدافعية للعمل والإنتاجية.